مصر منذ اربعمائة سنة

(٦)

السلطنة المصرية

البلاد المصرية وحدودها وحصونها

قال تنود سنة ١٥١٢ « يحدّ السلطنة المصرية شمالاً البحر المتوسط وشرقاً البحر الاحمر وغرباً صحراء ليبية وجنوباً بلاد النوبة والشلالات . وثغورها في هذه البحار الاسكندرية وابو قير ورشيد ودمياط والسويس والقصير وسواكن . واما البلاد التابعة لها فهي البلاد العربية المتصلة ببر برية سيناء وفلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين الى مجرى الفرات ودجلة حتى حدود فارس »

وقال تفنوت سنة ١٦٣٠ « يحدّ الباشوية المصرية شرقاً البحر الاحمر وصحراء العربية وجنوباً مملكة النجة والنوبة وغرباً صحراء ليبية وشمالاً البحر المتوسط وليس فيها قلاع وحصون الاّ في الاسكندرية وابي قير »

وقال وانسليب سنة ١٦٧٠ « وبعض المؤلفين يضعون مصر بين قارتي اسيا وافريقية ونهر النيل الفاصل بينها وحدودها الجنوبية بلاد النوبة وهي تابعة لحاكم جرجا المستقل عن الباشوية المصرية في الاحكام وانما يدفع قسطاً من الخراج السلطاني . وحدودها الغربية صحراء ليبية حتى بلاد برقة والقيروان »

وقال سيزار لامبرت سنة ١٦٢٧ « في الاسكندرية اربع قلاع حولها الحصون والاستحكامات ثلاث منها تحمي المرفأ وهي تحت امرة اغا ومعهُ سوباش وثلاثمائة رجل من الحراس والجنود والمدفعية ومرتباتهم من ايرادات الجرك . وفي ابي قير قلعة لحماية الثغور يحميها ثلاثون نفراً وفي رشيد قلعتان متقابلتان في الميناء يحميها مائة وخمسون جندياً ومرتباتهم من ايرادات جمرك الاسكندرية . وفي البرلس قلعة يقوم بحمايتها ثلاثون رجلاً ومرتباتهم من ايرادات الاسماك . وفي دمياط قلعة في حراسة اغا وثلاثين جندياً ومرتباتهم من جمركها وتبلغ نفقات هذه القلاع سنوياً عشرين الف غرش ديواني (٦٠ الف فرنك)

« وفي طريق الحجاج بين مصر ومكة حصن في صحراء سيناء عند جبل الطور تحت حراسة اغا وثلاثين جندياً وهذا الحصن قديم جداً وداخلهُ كنيسة للارومانيين يقولون ان قد دفنت فيها عظام القديسة مارينا

«واما معامل الاسلحة والبارود في الاسكندرية والقلعة بمصر والسويس وفي العقبة حصن يحرسهُ ثمانون جندياً وكذلك في قطية . ونفقات مدن الحصنين ومرتبات جنودهم ترسل من مصر كل ثلاثة اشهر مرة »

الجيوش المصرية

قال تنود سنة ١٥١٢ : « يقيم الباشا نائب السلطان بالقلعة وعندهُ ستة آلاف مملوك وفرق الجنود الانكشارية والمتفرقة والعزبية وغيرهم لحماية البلاد ولهم مرتبات مفروضة على المقاطعات المصرية »

وقال سيزار لامبرت سنة ١٦٢٧ : « يقيم الباشا في القلعة وفيها استحكامات وسبعة ابواب حصينة بعضها داخل بعض . ومن الاهمال ان ليس حولها خنادق وجسور . واما قوات البلاد فمحصورة في وجاقات الانكشارية وسناجق السباهية والجاويشية والعزبية ولهم السلطة المطلقة في الاحكام والسياسة وفي ايديهم الاحكام الجنائية »

وقال تفنوت سنة ١٦٣٠ : « يحكم مصر بعد الباشا اربعة وعشرون سنجقاً من البكاوات الكبار وهم حكام المقاطعات واربعون من البكاوات الجركس وهم مسؤولون عن حراسة البلاد وحفظ الامن ومرتب كل سنجق كيس الا انهُ يبذل مائة الف غرش للحصول على هذه الوظيفة واكثر هؤلاء السناجق من المماليك الذين جلبوا اسرى من بلاد الجركس وجورجيا والمجر والروم وبعض السناجق في البلاد خمسة او عشرة آلاف من قبائل العربان لتأييد سلطتهم وهؤلاء البكاوات او السناجق متفرقون في المقاطعات وفي كل من مصر القديمة وبولاق والمطرية سنجق مستقل . وفي القاهرة من الاجناد اثنا عشر الفاً لحفظ الامن وهم تحت سلطة الباشا منهم ستة آلاف في القاهرة والباقون في ضواحيها وتبلغ عدد القوات والاجناد في كل البلاد المصرية نحواً من ٣٥٠ الفاً تحت قيادة الاغا الاكبر (جنرال) ونائبهُ الكيخيا (ادجوتانت جنرال) والجاويش الاكبر (كابتن) والكجك جاويش والباشجاويش والجوربجي والاوضاباشي (اسماء رتب الضباط) واما حفظ الحدود الشرقية فموكول الى قبائل العربان في سيناء وكذلك في الحدود الغربية والجنوبية »

وقال ماليت قنصل جنرال فرنسا سنة ١٦٨٠ :

« والحكومة المصرية تحت سلطة الباشا نائب السلطان ولا يبقى في وظيفته عادة اكثر من سنتين ان لم يعزل قبل ذلك من وجاقات الانكشارية والمتفرقة . ونادراً يلبث في

مصر ثلاث سنين ولا ينال الباشا هذا المنصب الاَّ اذا كان مقرباً لدى السلطان او اذا دفع للخزينة في استانبول وللوزراء مالاً طائلاً لا يقل عن اربعمائة او خمسمائة الف ريال عدا ما يدفعهُ للخزينة السلطانية من الخراج السنوي وقدرهُ ستمائة الف ريال او (٢٠٠ كيس) وعدا الهدايا الكثيرة التي تقدم الى المقربين عند السلطان . ويقدم ايضاً الى السراي السلطانية في كل سنة ما تحتاج اليهِ من البن اليمني والسكر والافاويه التي ترد من الهند

« ويرأس الباشا الديوان الاكبر في الاسبوع مرتين في قاعة المشورة وهذا الديوان مؤلف من كبراء الامراء والعلماء والقضاة للنظر في الشؤون الهامة وحفظ البلاد ومحابرات السلطنة ويأتي كل امير الى القلعة محفوفاً بعدد كبير من اتباعهِ المماليك وترى ساحة الديوان الكبرى غاصة بالفرسان راكبي الجياد العربية ومسروجها مرصعة بالذهب والفضة والحجارة الكريمة . وابهة الامراء وفخفختهم وعظمتهم ترى عند انعقاد الديوان . ولست مبالغاً اذا قلت ان ديوان الباشا بمصر ليس باقل ابهةً ومهابةً وفخامةً من ديوان استانبول . ويعقد هذا الديوان في الشهر مرة ويتألف من رؤساء الوجاقات والامراء والاغوات وقاضي عسكر والوزراء والعلماء . وقد حضرت مرة جلسة هذا الديوان دعيت لأسأل عن شكاوي بعض التجار الافرنج صودرت بضائعهم في جمرك الاسكندرية فشكوا الدار السلطنة بواسطة السفير فصدرت الاوامر الى الباشا بتحقيق هذه الشكاوي ورأيت في ساحة الديوان نحو اربعة آلاف فارس من اتباع الامراء والمماليك ورؤساء الاجناد والوجاقات . وقد القى احدهم في هذه الجلسة كلاماً جارحاً مثيراً ضد الافرنج وسمعت حينئذٍ صلصلة سيوف الاجناد الخراص فهلع التجار الافرنج الشاكون خوفاً وارتعدت فرائصهم الاَّ ان بعض العقلاء من العلماء والاشراف من السادات والبكرية اخمدوا هذه الحركة العنوانية

« واما القوات الجندية في ياشاوية مصر فمؤلفة من سبعة وجاقات او اميليس اولهم وجاق المتفرقة وهذا الوجاق اعظم واوسع سلطة من غيرهِ وكلهم من الفرسان وعددهم يربو على خمسة آلاف فارس وقسم منهم خاص بحرس الباشا . وكثيرون من التجار الافرنج يدخلون في حماية امراء هذا الوجاق . ثانياً وجاق الاصافية وكلهم من الجنود المشاة وعددهم نحو اربعة آلاف . ويليهم وجاق السباهية وعددهم نحو اربعة آلاف وكلهم من الفرسان وبينهم وبين الانكشارية عداء شديد وخصام دائم . ثم وجاق الجاويشية وهم جنود مشاة لا يزيد

عددهم في مصر عن الف نفس . واما وجاق الانكشارية فاكثر الوجاقات قوة وعددا واعظمها سلطة ولرؤسائه سلطة واسعة . وهم يعزلون الباشا متى قاموا عليه ويتصبون غيره مكانه . ورئيس الانكشارية الذي هو كيخيا الوجاق قائد عام (جنرال) على كل اجناد مصر وله الحق ان يحضر جلسة الديوان الاعلى

« وتدفع مرتبات الوجاقات من الخزينة كل ثلاثة اشهر مرة ومرتب كل جندي في اليوم ثلاثة فلوس ويبلغ مرتب الضباط من خمسين الى مائة فلس في اليوم . واما الفرسان فمرتباتهم اكثر من ذلك ولكل منهم مقدار معين من العلف لجواده »

وقال بنيوس سنة ١٧٧٦ « ولآغا اوجاق الكبير سلطة واسعة على الاهالي ايضاً وهو بمثابة رئيس البوليس عندنا . رأيته مرة ماراً في شوارع القاهرة للمحافظة على الامن يتقدمه مشاة فارس وجمع من الخرس المشاة وكلهم مدججون بالاسلحة والعصي والنبابيت والكرابيج . وفي فم هذا الرجل القضاء بالحياة او بالموت على كل مصري . فاذا رأى في طريقه امراً مخالفاً من شخص ما مهما كانت منزلته يأمر في الحال بقطع رأسه او بضربه وينفذ الحكم في وسط الشارع على مرأى من الناس . ولذلك ترى الجنايات في مصر نادرة جداً واذا حدثت جناية خفية في مكان ما من سرقة او قتل يضطر اهالي الحي اما ان يظهروا القاتل او السارق او ان يدفعوا دية القتيل وقيمة المسروق »

وقال مارسل سنة ١٧٩٣ « ولبعض الباشاوات في مصر حماية من سفراء فرنسا في استانبول يعضدونهم و يثبتونهم في ولايتهم . ولما استولى السلطان سليم الاول على مصر اقام نائباً عنه يحكم البلاد بسلطة واسعة ويرأس الديوان الاعلى المؤلف من اربعة وعشرين اميراً كبيراً وهم حكام المقاطعات المصرية وثمانية واربعين « بيكاً » اميراً صغيراً . والاولون كانوا يعينون بارادة سلطانية

« ومن امراء البلاد والكيخيات رؤساء الوجاقات والدفتردار والروزنامجي وقاضي القضاة والمفتي واربعة من العلماء رؤساء المذاهب الاربعة وامير الخزنة

« وهذا الديوان يجتمع في ايام محدودة من السنة لينظر في المسائل المهمة ولتقرير العلاقات العامة بين استانبول ومصر واما الديوان الاصغر فيجتمع في الاسبوع مرتين تحت رياسة قاضي العسكر للفصل في الاحكام الجنائية والمدنية . واما الوجاقات التي قررها السلطان سليم بمصر فهي ستة ثم اضيف اليها بعده وجاق سابع وهو وجاق

الجركس . وعدد رجال هذه الوجاقات كلها يبلغ نحو خمسة وعشرين الف نفس بين مشاة وفرسان »

المقاطعات المصرية والكاشفيات

ملخص ما يلي عن ماليت سنة ٦٨٥ . وغيره :

الثغور المصرية هي الاسكندرية ورشيد وابو قير ودمياط والسويس والقصير وسواكن وحكام هذه الثغور يعينهم الباشا نائب السلطان بمصر عدا حاكم سواكن فانهُ يعين من السلطان رأساً ويرسل من استانبول لانهُ محافظ على الحدود بين البلاد المصرية والحبشة

وقال جاك البرت سنة ١٦٢٧ :

« وتقسم مصر الى اثنتي عشر مقاطعة او كاشفية يحكم كلاًّ منها كاشف يعين من قبل الباشا ومعهُ بعض قوات من جنود الوجاقات والملتزمين والمحاسبين والشوباصية

« فالمقاطعة الاولى هي جرجا او ولاية الصعيد وحاكمها يلقب بصاحب الصعيد وهو مستقل في الاحكام والادارة عن حكومة مصر ويعين من الباشا بقرار من دار السلطنة ويشترك في دفع الخراج المعين على البلاد المصرية وعندهُ ديوان مخصوص للاحكام والادارة تؤيدهُ قوة كبيرة من قبائل العربان وبعض الجنود من وجاقات المتفرقة والسباهية والفكجية والانكشارية . وعندهُ ديوان للكتابة وآخر للخزينة وجمع الخراج ونفقات هذه الكاشفية من خزينة الحاكم ولهُ سلطة واسعة في الاحكام يعاقب بالسجن والقتل ويجمع الاموال بدون استشارة ديوان مصر

« وعلى حاكم الصعيد ان يرسل الى باشا مصر في كل سنة هدية الزامية مؤلفة من اربعين كيساً وخمسين جواداً وخمسين بغلاً ومائة جمل والف خروف . ويرسل ايضاً الى كيخيا مصر واغاوات الوجاقات اثني عشر كيساً . واما القسط المفروض على صاحب الصعيد من خراج السلطنة فمائة وخمسون الف اردب قمح تنقل على نفقتهِ من جرجا الى شون الخزينة في مصر القديمة واربعمائة وثمانون كيساً من الذهب المضروب هذا عدا المفروض على هذه المقاطعة من التمبج للحرمين . وحدود جرجا من الصعيد الاعلى الى منفلوط

« والمقاطعة الثانية كاشفية منفلوط وعدد بلادها ٢١٧ والكاشف او حاكم هذا القسم يدفع الى الباشا في كل سنة ثلاثين كيساً والى الكيخيا والاغوات رؤساء الوجاقات خمسة

اكياس . وقسط هذه الكاشفية من الخراج السلطاني مائة الف اردب قمح وخمسة واربعون كيساً مصروبة والاراضي تعطى للملتزمين (المستأجرين) والشوباشية لتحصيل خراجها من الفلاحين وللحاكم الخيار ان يبقي الالتزام على حسابه الخاص . وفي ديوان مصر دفاتر وسجلات في بيان البلاد المصرية واراضيها ومقدار خراجها السنوي من مال وغلال . وهذا الخراج يدفع على اربعة اقساط . واما عدد الجنود والحراس في كاشفية منفلوط فثلاثون جندياً يدفع الكاشف مرتباتهم وعلف خيلهم الا انهم لا يكتفون بعلائفهم فيرهقون الفلاحين ظلماً ويحملونهم مغارم كثيرة . وفي وقت الفيضان يخرج الكاشف وينصب خيامهُ على شاطىء النيل لخفارة الجسور فان وصل مقياس الماء الى ٢٣ ذراعاً يبشر بالخصب وان نقص عن ذلك يجمع الفلاحين ويرغمهم ان يروُوا الاراضي بواسطة الآلات والنواعير . وما قلناهُ عن هذه الكاشفية يطلق ايضاً على باقي الكاشفيات وهي أوسع واكبر من المقاطعات التي بعدها عدا جرجا . وحدودها تمتد من منفلوط الى بني سويف

المقاطعة الثالثة . كاشفية بني سويف وحاكمها يدفع في كل سنة هدية الى الباشا هي ثلاثون كيساً وخمسة اكياس الى الكيخيا والاغوات بمصر وقسطهُ المفروض عليهِ من خراج السلطنة سبعون كيساً وثمانون اردباً من القمح وعدد بلاد هذه الكاشفية ٣٠٦ تعطى كلها بالالتزام لتحصيل خراجها وغالباً يأخذ الكاشف الالتزام لنفسهِ او يبقي احسن القرى واجود الاراضي ويزرعها على حسابهِ فيتعهدها خدمهُ واعوانهُ واحياناً يسخر الفلاحين في العمل ويجمع منهم مئتي زوج من البقر والثيران يستعين بها على حرث الارض وزرعها . ولكاشف بني سويف سلطة مطلقة في الاحكام والسجن والقتل بدون استشارة ديوان مصر كالكاشف جرجا ومنفلوط السابق ذكرها

المقاطعة الرابعة . كاشفية الفيوم وعدد بلادها ٣٠٠ وهذه الكاشفية كثيرة الغياض والبساتين المغروسة بالاشجار المثمرة وكروم العنب ويزرع فيها الكتان والجودة نوعه يلقب في اسواق التجارة بالكتان الفيومي . ويدفع حاكم هذه الكاشفية الى الباشا في السنة خمسة وعشرين كيساً والى الكيخيا والاغوات خمسة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني مئتا كيس وليس عليها غلال وقواتها مؤلفة من مائة وخمسين جندياً من الانكشارية والسباهية وتدفع مرتباتهم وعلائفهم من جيب الحاكم

المقاطعة الخامسة . كاشفية الجيزة وعدد بلادها ١٦٤ ويدفع حاكمها الى الباشا في كل

سنة ٢٥ كيساً والى الكيخيا والاغاوات خمسة اكياس ويؤجر الاراضي للملتزمين الا انهُ يبقي اجورها لنفسهِ ويزرعها على حسابهِ مسخراً الفلاحين وبهائمهم في حرثها وحصادها وجمعها وعندهُ من الاجناد الانكشارية مائة وعشرون يدفع لهم مرتباتهم وعلائفهم . واراضي هذه الكاشفية تروى بالراحة بلا آلات وسواقي . ويكفي لريها ان يصل مقياس النيل الى عشرين ذراعاً فقط وتزرع فيها كل انواع الحبوب وليس لحاكمها سلطة مطلقة في الاحكام الكبرى والقتل بل يرجع فيها الى ديوان مصر لقربها منهُ . وقسط كاشفية الجيزة من الخراج السلطاني ١٩٦ كيساً وليس عليها غلال

المقاطعة السادسة . كاشفية البحيرة وتمتد حدودها شمالاً الى راس اندريا في البحر المتوسط وهذه الكاشفية كثيرة الاتساع وعدد بلادها ٣٦٠ وحاكمها يدفع الى الباشا في كل سنة ثلاثين كيساً والى الكيخيا والاغاوات ستة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني ٤٨٠ كيساً واكثر اراضيها تروى بالآلات والسواقي ويرسل اليها من مصر ٢٥٠ جندياً من الانكشارية والمنفرقة لحفظ الامن ورد غارات العربان يدفع الحاكم مرتباتهم . وهو مسؤول ايضاً عن حفظ الترعة المتصلة بالاسكندرية وتطهيرها وطولها تسعون ميلاً فيحشر الاهالي الفلاحين بهذا العمل . ويكثر في هذه الكاشفية البقر والغنم لجودة مراعيها الخصبة . واذا وصل باشا جديد من استانبول فعلى كاشف البحيرة ان يقدم لهُ الركائب لحملهِ وحمل اتباعهِ واثقالهِ من الاسكندرية الى القاهرة وان يقدم لهُ جوادين عربيين هدية

وفي هذه الكاشفية اديرة السياح والرهبان وكنائسهم وعددها ٣٦٠ ديراً وكنيسة في الصحراء بالداخلية تلقب باسقيط القديس مكاريوس ويتوصل اليها من طرانة وهي كاشفية صغيرة تحت حكم كاشف يرسل من مصر لحفظ الامن وملاحظة استخراج النطرون . واما رهبان وقسوس الاديرة فيضطرون لراحتهم وامنيتهم ان يضعوا انفسهم تحت حماية رؤساء العربان مقابل غرامات وضرائب مفروضة عليهم في كل سنة

وبالقرب من طرانة بحيرة كبيرة مياهها قلوية يقال لها بحيرة النطرون ويستخرج منها مقادير كثيرة تحمل الى الاسكندرية فيشتريها التجار الافرنج ويشحنونها الى مرسيليا ومنها الى روان في فرنسا لتبييض الاقمشة وصقل الجلود وصنع الكهرمان المقلد وقسم منهُ يرسل الى تركيا

المقاطعة السابعة . كاشفية الغربية وهي كثيرة الاتساع واراضيها متصلة باراضي دمياط

وهي اغنى الكاشفيات واوسعها وكل اراضيها جيدة وعدد بلادها ٣٦٠ وحاكمها يدفع الى الباشا في كل سنة اربعين كيساً والى الكيخيا والاغوات تسعة اكياس وقسط الكاشفية من الخراج السلطاني ٤٩٠ كيساً وفيها من الاجناد ٥٠ لحفظ الامن ونظام الري وتعطى الاراضي للملتزمين الا ان الكاشف يحفظ لنفسه بعض البلاد ليزرعها على حسابه وكثيراً ما يسخر الفلاحين ومواشيهم بحرث الارض وجمع الغلال

وفي هذه الكاشفية ثلاث مدن كبيرة وهي مدينة المحلة وتلقب بالكبرى لاتساعها وكثرة سكانها ومدينة طنطا ويقام فيها سوق عظيمة في كل سنة يقال لها مولد الاحمدي البدوي تنصب فيها المضارب وتقام المسابقات والملاعب والملاهي وسباق عظيم للخيل يحضره الحاكم والاجناد ويبلغ عدد الجياد المتسابقة نحو الفين من الخيول العربية . ويزرع في هذه الكاشفية قصب السكر والارز والكتان والقرطم يستخرج منهُ الزيت للاضاءة ومواشيها كثيرة من غنم وبقر وماعز وجاموس يستخرج منها مقادير عظيمة من الزبدة والالبان والسمن والجبن

المقاطعة الثامنة . كاشفية المنوفية وهي صغيرة ويبلغ عدد قرارها نحو ١٠٣ وحاكمها يدفع الى الباشا ٢٥ كيساً والى الكيخيا اربعة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني ٢٩٠ كيساً واراضيها كلها جيدة خصبة يزرع فيها الكتان والقصب

المقاطعة التاسعة . كاشفية المنصورة وعدد بلادها ١٨٤ يدفع حاكمها الى الباشا في كل سنة ٢٥ كيساً واربعة اكياس الى الكيخيا والاغوات وقسطها من الخراج السلطاني ٢٩٠ كيساً وكل اراضي هذه الكاشفية مروج خصبة يزرع فيها الارز والكتان والحبوب على انواعها وفي المنصورة بساتين كثيرة مغروسة بالاشجار المثمرة ويكثر فيها نبت الخشخاش

المقاطعة العاشرة . كاشفية القليوبية وتتصل بضواحي مصر وعدد بلادها ١٨٤ ويدفع حاكمها الى الباشا ٢٥ كيساً والى الكيخيا واعوانهِ اربعة اكياس وقسطها من خراج السلطنة ٢٩٦ كيساً وليس عليها فريضة غلال

ديتري نقولا